محاضرات في مقياس التربية والتكوين في الجزائر د . تالي جمال

عنوان الماستر: علم اجتماع التربية اسم الوحدة: أساسية الرصيد: 5 المعامل: 2

المحاضرة الرابعة: التربية والتعليم في العهد العثماني الجزء الأول

إن التاريخ العثماني في الجزائر تاريخ حافل بالانجازات والمكاسب للمجتمع الجزائري، ففيه عرفت الجزائر التسمية والعاصمة تعود إلى ذلك الوقت، وكان لنا الجيش والأسطول والقوة السياسية وتم رسم الحدود الجغرافية بشكلها الحالي، وفيه تم توحيد أغلب القبائل تحت راية الدولة العثمانية، كما ازدهرت بعض العلوم والفنون، ويقول ابو القاسم سعد الله إن الجزائريين لو تشبعوا من دراسة العهد العثماني لامتلأو فخرا واعتزازا.

غير أنّ هناك حقائق وإشكالات ترتبط بماهية هذه الفترة، فهل كانت احتلالا أم فتحا أم تواجدا أم حماية؟ ولماذا يختزل تاريخ الجزائر في فترة الاحتلال الفرنسي؟ مع أن فترة التواجد العثماني امتدت لأكثر من ثلاث قرون، وتأثيرها الثقافي كان كبيرا؟،وكيف كانت حالة التربية والتعليم وحركة الثقافة والعلم والعلماء والمؤسسات والمناهج والطرائق وغيرها؟

لاو أ.التركيبة الاجتماعية للسكان في الجزائر العثمانية

لعل أهم ما يميز التركيبة الاجتماعية للسكان بالجزائر العثمانية هو التحول الجذري من مجتمع يسكن المدينة إلى مجتمع يسكن الريف، ونجد هذه الخاصية تزداد في الاتساع حتى يصبح في نهاية العهد العثماني بالجزائر أكثر من 90 بالمائة من السكان يتمركزون بالأرياف، وهذا الوضع يزداد في فترة الاحتلال الفرنسي، لمبررات عديدة في كلا الفترتين، كما أن

وضع السكان يتصّف بالتمايز حسب نمط معيشتهم وأسلوب حياتهم واختلاف مصادر رزقهم وطبيعة علاقاتهم بالحكام، وسنتناولهم بالدراسة والتحليل من حيث سكنهم بالمدينة أو الريف.

وكان للحالة الصحية والمعاشية التي ازدادت سوءا في أواخر العهد العثماني تأثيرا سلبيا على نمو عدد السكان، وتأثير واضح على وضعهم الاجتماعي، فالأمراض الموسمية والأوبئة المعدية، وقلة الأدوية والجهل ببعض الأمراض، وعدم اهتمام الحكام العثمانيين بالأوضاع الصحية للجزائريين، زاد من تفاقم الأزمة ومعاناة سكان الجزائر.[i]

ويضاف إلى سوء الأوضاع الصحية، حدوث الزلازل والفيضانات والمجاعات وزحف الجراد لمرات متعددة، مع ملاحظة أن العثمانيين لم يحركوا ساكنا إزاء تلك الأوضاع لاهتمامهم بالأمور العسكرية والسياسية للبلاد.

أما عن الوضع الديمغرافي لسكان الجز ائر فقد كان يتصف بعدم الاستقرار من حيث عدد السكان أو كثافتهم، وأغلب الأرقام المذكورة عن تعداد سكان الجزائر تقدّرهم بثلاث ملايين نسمة عشية الاحتلال الفرنسي، وحقيقة وجدنا تضاربا في الأرقام يعكس تناقضا في الروايات، وبالعودة إلى التركيبة الاجتماعية للسكان لابد من التعرف على سكان الريف وسكان المدينة كل على حدى.

ثانيا.ملامح الحياة الثقافية بالجزائر وبعض روادها في القرن التاسع:

لقد خيّم التصوف والاهتمام بالعلوم الدينية في التربية والتعليم في الفكر والإنتاج، وان كان إنتاج علماء الجزائر قليلا الا انه ركز على الفقه والتصوف، ولعل ابرز من كتبوا في العقائد عبد الرحمن الثعالبي ومحمد بن يوسف السنوسي، وفي بجايه التي تقدمت على تلمسان والجزائر بمدرسة عبد الرحمن الوغليسي الذي تتلمذ على يده وفي مدرسته رجال وعلماء الجزائر في تلك الفترة.

كما كان لقسنطينة مدرسة حسن بن باديس صاحب السينية وهي قصيدة في مدح الشيخ عبد القادر الجيلاني دفين بغداد، والتي تبارى العلماء في شرحها وتقليدها بل والتبرك بها. وقد امتد أشعاع هذين المدرستين الى الجزائر كلها، فكان في وهران محمد الهواري وتلميذه ابراهيم التازي، وكان بمدينة الجزائر عبد الرحمن الثعالبي وتلميذه احمد الجزائري، وكان في تلمسان محمد السنوسي الذي يملك عدة تلاميذ، وفي قسنطينة محمد الزواوي وفي بسكرة عيسى بن سلامة البسكري، وسنحاول أن نبرز بعض ما قدمه هؤولاء الرجال الأجلاء للتربية والثقافة في جزائر القرن التاسع.